مجلة كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة ذي قار

المجلد الثالث عشر العدد الاول 2023

ISSN:2707-5672

هيأة التحرير

أ.د انعام قاسم خفيف
رئيس هيأة التحرير

ا.م.د احمد عبد الكاظم لجلاج
مدير التحرير

ت	الاسم	الجامعة	الاختصاص
1	أ.د. سعد علي زاير	جامعة بغداد	طرائق تدريس
2	أ.د. مصطفى لطيف عارف	جامعة ذي قار	اللغة العربية
3	أ.د. حيدر حسن اليعقوبي	جامعة كربلاء	علم النفس
4	أ.د. عماد ابراهيم داود	جامعة ذي قار	اللغة الانكليزية
5	أ.د. صلاح الدين احمد	جامعة عمان	علم النفس
6	أ.د. حسام الدين جاد الرب احمد	جامعة اسيوط	الجغرافية
7	أ.د. عثمان برهومي	جامعة صفاقس/تونس	التاريخ
8	أ.م.د. حيدر عبد الجليل عبد الحسين	جامعة ذي قار	التاريخ
9	أ.د. فاضل عبد الزهرة مزعل	جامعة البصرة	ارشاد تربوي
10	أ.م. انتصار سكر خيون	جامعة ذي قار	الجغرافية

الاشراف اللغوي
م.د اسعد رزاق يوسف اللغة االعربية
م.د حسن كاظم حسن اللغة الانجليزية

ادارة النظام الالكتروني: م.م محمد كاظم

الاخراج الفني: م. علي سلمان الشويلي

المحتويات

ت	اسم الباحث و عنوان البحث	رقم الصفحة
1	مكانة التكريم للإنسان ما بين الرؤية الإلهية و استباحة التطرف البشري (التلاعب برمزية الجهاد انموذجا) أ.م.د.علي رحيم أبوالهيل الجابري	1-22
2	اتجاهات طلبة قسم العلوم التربوية والنفسية جامعة ذي قار نحو مادة الاحصاء الوصفي م . م علـي ريسان سنيم العمري	23-47
3	مظاهر الاتساق والانسجام في ميمية الفرزدق في مدح الإمام زين العابدين (ع) أ.م .د .رحيق صالح فنجان	48-67
4	الاتساق الصوتي في أشعار أنصار الإمام الحسين عليهم السلام وأراجيزهم دراسة في ضوء علم لسانيات النص م . د . محمد شمخي جبر	68-86
5	العلاقات الصينية – العراقية 1949 – 1967 أ. د. أزهار عبد الرحمن عبد الكريم اللفته	87-115
6	سمتي التفاؤل – التشاؤم لدى طلبة الجامعة زهراء عبد الكريم عيسى أ.د. عبد الباري مايح ماضي	116-137
7	قصدية الأفعال الانجازية غير المباشرة في القصائد المهدوية عند الشعراء العرب أ.د. قصي ابراهيم نعمة الحصونة مرتضى مطشر صبري	138-165
8	موقف الحكومة البريطانية من التطورات السياسية في البرتغال في اعقاب ثورة نيسان 1974 – نيسان 1975 م.د. حيدر جواد كاظم المكصوصي	166-202
9	الفضح والستر في القرآن الكريم وورود شعلان فجر	203-244
10	الأثر الفكري لحركة الزندقة في المجتمع العباسي أ.م.د. مرتضى جليل جعيلان	245-263
11	تطور مفهوم الحظ لدى الاطفال للأعمار (8, 10, 12) سنوات محمد حسين فرحان ا.م. د. غادة علي هادي	264-282

12	وسائل الغزو الثقافي وأهدافها (العولمة انموذجا) أ . م . د خضير جاسم حالوب كرار جبار حسين	283-298
13	الاستقرار النفسي لدى المرشدين التربويين انعام قاسم خفيف الصريفي امجد راضي بري الخفاجي	299-323
14	روژ نوري شاويس سيرته الذاتية وتكوينه الاجتماعي والعلمي (1947-1976) سلام حميد عليعل عبد الرسول شهيد عجمي	324-339
15	التفكير الحاذق لدى طلبة الدراسات العليا ميس هادي حسن كنعان م.د. عبد الخالق خضير عليوي	340-360
16	الاتحاد الأفريقي نشأته – أعضاءه – دوره الاقليمي فاضل عبد علي حسن	361-384
17	مدى رضا طلاب ذوي الاعاقة عن جودة الخدمات في الجامعات السعودية وسبل تطويرها من وجهة نظرهم فاتن عبد الهادي الزايدي	385-413
18	حركة المختار بن ابي عبيد الثقفي في كتابات المستشرقين الالمان (فلهوزن وبروكلمان إنموذجاً) ا.م.د. مروان عطيه مايع	414-447
19	المضامين الثقافية ودورها في تشكيل القصيدة عند الشاعر أجود مجبل	448-467
20	الشخصية في كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء لأبي مروان التّوزري أ.د رائد حميد مجيد البطاط نوره عاصي مجيد	468-483
21	المدلولات العلائقية الزمانية في الخطاب القرآني من خلال المنظور المعرفي أ.د سعاد كريم خشيف م. م. صفية موسى عبود	484-507
22	مبادرة جورج شولتز لتسوية الصراع العربي (الاسرائيلي) عام 1988 ا.د. عباس حسين الجابري ناصر ثجيل منصور	508-527
23	التجسيم في النص القرآني دراسة تداولية في ضوء الأفعال الكلامية م.م. هدى صبيح محمد م.رشا قاسم فياض	528-553
24	دور العولمة المعلوماتية في تطوير المناهج الدراسية في مرحلة التعليم الثانوي الاستاذ المساعد الدكتور علي عباس علي اليوسفي	554-585

25	الأُسلوبُ التعليميّ وأثره في فهم النصّ النحويّ الأستاذ الدكتور رياض يونس السوّاد المدرّس المساعد إيهاب حسين علي ناصر	586-605
26	أثر المختبر الافتراضي في التحصيل و التفكير الابداعي والسعة العقلية لدى طلاب الخامس العلمي / الاحيائي في الفيزياء أ.م.د. سعد قدوري حدود الخفاجي	606-635
27	دول الميكرو ـ ستييت في قارة اؤروبا " نظرة جغرافية سياسية م. د. عمار شريف كاظم جلود العظماوي	636-657
28	الشفقة بالذات لدى موظفي جامعة سومر أ.م.د عبد العباس غضيب الشاطي الاء علاء ياسين	658-685
29	مؤتمر منتوار والموقف الدولي منه عام 1940 ا.م.د زمن حسن كريدي ازهر رحيم اوعيد	686-705
30	جمعية الصداقة اللبنانية–السوفيتية ودورها بين البلدينِ 1960–1975 م. د. محمد جابر عناد العبودي	706-734
31	جهود السلام اليابانية لحل القضية الفيتنامية 1964– 1968 ا.م.د حيدر عبد العالي	735-767
32	A Linguistic Analysis of Presupposition Triggers In American Presidential Debates	768-803

JOURNAL OF THE COLLEGE OF EDUCATION FOR HUMANITIES, VOLUME 13, ISSUE 1, 2023
ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد (13) العدد (1) 2023

مكانة التكريم للإنسان ما بين الرؤية الإلهية و استباحة التطرف البشري

(التلاعب برمزية الجهاد انموذجا)

أ.م.د.علي رحيم أبوالهيل الجابري

قسم الآثار القديمة -كلية الآثار-جامعة ذي قار- العراق

Ali.reham@utq.edu.iq

الكلمات المفتاحية: التكريم ،الاستباحة ،التطرف ، الجهاد

الملخص :

يحاول البحث أن يستعرض مدى التفاوت الحاصل ما بين التكريم الإلهي للإنسان وما بين ما يتم النظير له من قبل بعض علماء الفقه ، فالإنسان يشكل محور انطلاق الرسالات السماوية واساسها ، غير أن ما وجدناه في كثير من الطروحات الفكرية والفقهية يخالف تلك النظرة ،إذ ومن خلال البحث وجدنا أن ما يتم عرضه من جوانب فقهية في هذا الجانب قد أخذت منحى الاستباحة دون أن تمعن وتدقق في حقيقة ما تذهب إليه وانسجامه مع النصوص القرآنية التي جاءت مضامينها لتكرم الإنسان و تحفظ حياته ، فقد يذهب التنظير الفقهي إلى استغلال مكانة الجهاد الإسلامي الحقيقي وجعله احدى أدواتها في تلك الاستباحة ، هذا الأمر وجد وبشكل ملحوظ في تراث ابن تيمية الذي اعتمدت كثير من الحركات الجهادية على ما بثه من فتاوى وآراء في هذا الجانب ، وهذا ما شكل المحور الأساس في تلك الدراسة .

The status of honoring the human being between divine vision and the permissibility of human extremism

(Manipulating the symbolism of jihad as a model)

Assist. Prof. Dr. Ali Rahim Abu Al-Hail Al-Jabri

Department of Antiquities and Ancient Civilization-College of Archeology-Thi Qar University- Iraq

Ali.reham@utq.edu.iq

keywords: Honor, promiscuity, extremism, Struggle

Abstract:

The research attempts to review the extent of the discrepancy between the divine honoring of man and what is done to him by some scholars of jurisprudence, Since, through research, we found that the jurisprudential aspects that are presented in this aspect have taken the direction of permissiveness without carefully and scrutinizing the truth of what you go to and its consistency with the Qur'anic texts whose contents came to honor man and preserve his life. The true Islamic and made it one of its tools in that lawlessness, this matter was found significantly in the legacy of Ibn Taymiyyah, who relied many jihadist movements on the fatwas and opinions he broadcast in this aspect, and this is what constituted the main axis in that study.

المقدمة :

يشكل الإنسان القيمة العليا في فلسفة الخلق الإلهي ، فخلافة الإله الواحد لم تجعل إلا في ذلك الكائن البشري وهذا ما يتبين من قوله تعالى:"**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**" [1] ، وحتى ذكر بأنه من المكرمين عند الخالق بنص الآية القرآنية " **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**" [2]، بحيث أصبح الإنسان هو الهدف الذي تطوع له كل المخلوقات والموجودات لكرامته على الله تعالى ، بيد أن هذه الكرامة بدا وكأنها تهزهزت وتزحزحت كثيرا عند بني البشر انفسهم و على مختلف مشاربهم الفكرية ، حتى تكاد تكون تلك الكرامة تصل إلى حد الاضمحلال ، فلم يعد المنظور البشري ينظر لها على أنها خلافة لله و خير ممثل لإرادته و انهم العنصر الذي حظي بالتكريم و التفضيل على كل المخلوقات ، في تغييب واضح للنص الديني الصريح .

وفي هذا البحث نحاول أن نسلط الضوء على الرؤية المتطرفة التي نظرت لذلك الإنسان الخليفة المكرم و ضربها لكل النصوص التي جاءت لترسخ مكانته ودوره في هذه الحياة ، معتمدة على أبعاد فقهية خاصة بمفهوم الجهاد الذي شرعه الله تعالى وحدد أغراضه و أهدافه .

وقد اخترنا تراث ابن تيمية لا لكونه أول من بدء ذلك ، بل لأنه الأصرح في هذا الجانب ولكون أغلب الحركات الجهادية المعاصرة انما تستقي رؤيتها من تراثه و تعتمد على فكره في رسم خطوط نظرتها للإنسان .

وفي هذا الإطار يحاول البحث أن يتعرض إلى جملة من الأمور المحورية التي سيتم التركيز عليها وهي الآتي :

أولا : التكريم الإلهي و الاستباحة البشرية

يشكل الإنسان وحياته وكرامته محورا أساس من محاور انطلاق الرسالات السماوية ، فإضافة إلى التركيز على معالم التوحيد و العبودية للخالق ، نجد أن الرسالات السماوية اشتملت على مضامين عملية و تنظيرية لا تعدو إلا أن تكون منجدا للإنسان وكرامته ، ولو تتبعنا نصوص ذلك في الكتب السماوية لوجدنا أن الانتصار للإنسان وكرامته تتجلى في أكثر من نص ، وما جاء في القرآن الكريم واضح إذ

اختلفت صـــورها وتعددت إلا أن أبرزها وأصـــرحها هو ما جاء ناقما و ناقدا و معترضـــا على جملة من الممارسات السلوكية البشرية التي بددت ذلك التفضيل والتكريم ، لذا يمكننا أن نستعرض الآتي :

1- **نقض البهيمية الذهنية و التعريض بدورها في استباحة التكريم :**

يتجلى هذا الأمر بشكل واضح وصريح في مجمل الآيات القرآنية التي تستعرض مكانة البشرية عند خالقها ، إذ نجد أن الله سبحانه وتعالى بالضد من ظاهرة التمييز على أساس الجنس و ما ترتب عليها من ممارســـات شـــاذة و إبادة للأنثى كنتاج لطبيعة المجتمع الذكوري وتفكيره البهيمي الذي استقر في مخياله أن أحد موارد العار الذي قد يلحق به ناتج من هذا الكائن(الأنثى) ، مما أدى إلى وصـف تلك الحالة وصـفا دقيقا في القرآن الكريم إذ قال سـبحانه وتعالى: " **وَإِذا بُشِّـرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْـوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُـوءِ ما بُشِّـرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ** "[3] ، لكونها حالة لا تنم عن المكانة الحقيقية لذلك المخلوق الذي جعله الله وعاء للبشرية وسببا من أسباب تكاثرها ، لذا نلاحظ النص القرآني يسـتعرض الحالة النفسـية و العقلية (النفس عقلية) التي يمر بها هؤلاء الرجال لمجرد أن يتلقوا الخبر بولادة هذا الكائن ، فالطبيعة الاجتماعية والاعتقادية تجعله مترددا بين أن يتقبله على هوان منه و يجعله شـــيئا هينا لا قيمة له ، وبين أن يصـــل إلى أعلى درجات الإجرام و البهيمية الذهنية و الممارساتية بأن ينهي حياته بدفنه حيا في تخبط مريع و بشع.

لو تمعنا في ما ســـبق من عرض قرآني لوجدنا تنوعا في تصـــوير حالة الفرد الذكر و اختلاف صـــور تعامله مع الأنثى ، ويبدو أن ذلك كان ناتجا إما من اختلاف حدة الطبائع لدى الأشخاص ، فحدة الطبع تختلف من شخص لآخر ، أو باختلاف الزمكان و تأثيراته في استفحال أمر الاسـتباحة الذي وصـلت حدتها كما في بعض الدراسـات إلى أعلى مسـتوياته في المدة التي سبقت الإسلام ، فقد شاع ذلك الأمر في مجموعة من القبائل من ابرزها مضر وخزاعة وتميم [4]

و مما استدعى ونتيجة لتلك الذهنية البهيمية أن تكون البصمة النصية للقرآن الكريم واضحة للتذكير و التنديد بهذه الحالة في عرض نصـــي آخر ذو تميز في العرض و الإلفات و الإيقاع وهذا ما تجسد بصورة واضحة ودقيقة في قوله تعالى " **وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت**" [5] قد استخدمت فيه أساليب لغوية مهمة ذات وقع و عصف ذهني ، و بلا ريب أن العرض القرآني قد عبر عن مقدار التعنيف الحاصـل على ذلك الكائن البشـري الخليفة وفي نفس الوقت عبر عن

حقيقة التقييم الإلهي لذلك الفعل فقد اعتبر ذلك الحكم بأنه من أحكام السوء ، و أن يوما سيأتي ليطرح التساؤل عن السبب الذي أدى إلى ذلك الفعل .

وبرغم ذهاب آيات قرآنية أخرى إلى توضيح سبب الموقف الذكوري من استباحة الأنثى بهذا الشكل المروع و الذي مرده إلى اعتقادهم بأن البنات لله و الذكور لهم ، لذا يتشائمون من ولادتها كما في قوله تعالى **(وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم)** [6] إلا أن هذا لا يعني تغييب ما ورد فيما سبق من نصوص وقسر الآيات على صورة ومفهوم محدد فأغلب المفسرين قد ذهبوا إلى أن سبب ذلك الفعل المشين ناتج من بعد عقائدي دون أن يعطوا أي قيمة لكونها أنثى بل لم يلتفتوا إلى أن نص الآية الكريمة الواضح في الفاظه (وإذا بشر أحدهم بالأنثى) أي أن كونها أنثى كان جزءا أساس وسببا معوقا لحياتها و ميسرا لاستباحتها لا لانتمائها لله تعالى فقط بل أيضا لجنسها ، و هذا الأمر يعطي مقدار الجنبة الإنسانية التي كان القرآن يروم إثارتها و الإشارة إليها ، خصوصا وأن تبرير الفاعلين لهذا الأمر و ما روي عنهم لم يخضع لحسابات طبيعة انتماءها للإله فقط بل أغلب ما ورد عنهم يوحي بأنه نتاج للعقدة النفسية والحالة الاجتماعية المعاشة آنذاك والتي خيمت على حالتهم الذهنية المتوارثة دون النظر بإمعان وتدقيق .

2- **المغايرة العقدية و معالم الاستباحة** : و برغم تركيز الآيات السابقة و في أعلى مستويات عرضها على الانتصار للإنسانة الأنثى لما جرى عليها من استباحة اعتمادا على جنسها ، فإن المضامين القرآنية الأخرى قد جاءت صريحة لتغلق الاستباحة بسبب الاعتقاد الفكري أو الديني ، فالآيات التي تخص استباحة بني إسرائيل من قبل فرعون و استباحة النمرود لأصحاب الأخدود ما هي إلا دلالة واضحة على عقم الفهم البشري المتسلط و المتطرف و قيمه ومعاييره التي يحاكم بها الإنسان المكرم ، ففرعون وبعد ان عجز عن مواجهة النبي موسى و المعاجز التي أجرها الله على يديه لغرض هدايته والتي عرضت بإسلوب لين **(قولا له قولا لينا)** [7] يبتكر أساليبا عقابية لاستباحة مناوئيه الذين يختلفون معه في بنيتهم الفكرية والعقدية ترتكز تلك الأساليب على استباحتهم ماديا ومعنويا فهو يستضعف مجموعة منهم و يذبح ابناءهم و يعتدي على أعراضهم وقد عرض القرآن الكريم ذلك نتيجة لأهميته في عدة مواضع هي :

أ- (وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَـــىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِـــدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ)[8] .

ب- (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)

ت- (فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْـتَحْيُوا نِسَـاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) .

ث- (وَإِذْ قَالَ مُوسَـــىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُـــومُونَكُمْ سُـــوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ)[9]

ج- (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُـومُونَكُمْ سُـوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْـتَحْيُونَ نِسَـآءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاَءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ) [10]

ح- (فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واســـتحيوا نســـاءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال)[11]

حتى استعرض الموروث الروائي ما حدث من استباحة للمؤمنين من أتباع النبي موسى في عرض يتبين من خلاله مدى الإمعان في استباحة الإنسان فقد ورد أنه ما إن سمع بمولود يولد إلا وقتله إن كان ذكر إما ببقر بطن الحامل أو بقتلهم بعد الولادة ، في حين يستعبدون النساء للخدمة والنكاح [12] ، خصوصا وأن استحياء النساء فيه من الإذلال ما لايوصف إذ **(ينكحن على الاسترقاق فهو على رجالهن أعظم من قتلهن)**[13] .

و الحال نفسه بالنسبة مع أصحاب الأخدود فالآيات القرآنية حددت سبب الفتك بهم لا لشـــيء إلا لكونهم يحملون من المغايرة العقدية التي لا تتســـق أو تتوائم مع عقيدة الحاكم آنذاك **(قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ..النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ..إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ..وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ..وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ..الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّـــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَـــيْءٍ شَهِيدٌ)**[14] [15] .

3- النص الإلهي واستنطاق مكامن الإيجاب و التكريم في النفس البشرية

ان الآيات الكريمة تتعدى أي أطر أو حدود و تركز على مكامن الإيجاب التي تحويها النفس البشرية فالخطاب القرآني يضمن لكل البشر الحياة ف**(وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)**[16] **(مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)**[17] **(وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا)**[18] هي من النصوص القرآنية المهم جدا ، فقسر النص و التضيق على دلالته العامة والعالمية في آن واحد و اعتبارهم أن مقصوده هي النفس المسلمة أو المؤمنة فقط ، لا ينسجم مع صراحة الآيات و وضوحها في ذلك فهي تشير إلى قتل النفس بشكل عام ولم تحدد أو تعطي مصداقا للنفس وما يشفع لنا في ما نذهب إليه هو ذيل الآية الذي يقول **(فكأنما قتل الناس جميعا)** و الناس جميعا ليسوا مسلمين ولا مؤمنين بل عموم البشر ، هذا الأمر يوحي لنا بأن المكانة و التكريم الإلهي للإنسان لم تتحدد أو يتحكم بها مكان أو زمان أو فئة أو طائفة بشرية دينية كانت أو غيرها ، وانما هي شاملة لكل بني البشر

إن أهم ما يلاحظ على تلك النماذج من النصوص القرآنية أنها :

1- أكدت وبما لا يقبل الشكل على حالة الاستهجان الإلهي لكل فعل يمارس ضد البشرية .
2- كما أن الآيات تشير وبصراحة إلى الرفض المطلق للاستهانة بحياة البشر أو إهدارها و لا تجوز استخدام اسم الإله في ذلك .
3- أنها تعطي زخما معنويا لنبذ هكذا افعال وذلك من خلال التوصيف الدقيق لعلل و أسباب هذه الاستباحة والتي تتقاطع مع النص الإلهي والغاية التكريمية و الخلائفية للإنسان .
4- عدم تركيز القرآن على عنوان محدد لحالات هدر الدماء ، كأن تكن الأولوية في حالة الاستهجان للذين قتلوا بسبب عقيدتهم (قتل الأنبياء وغيرهم) ، بل نراه يسجل رفض الشديد لكل ممارسات القتل بغير الحق ، فهي كما يتبين من النصوص السالفة تعترض على قتل الأولاد ،قتل البنات إلى أن تصل إلى قتل النفس بصفة عامة ، ولكنه يعطي زخما و أهمية كبيرة بطريقة القتل وبشاعتها لذا نرى الآيات ذات عرض مهول حين التعرض لظاهرة الوأد لكونها تمارس ضد كائن لا حول ولا قوة له ولم يرتب أي جريمة وانما كان السبب لكونه قد ولد في بيئة منحدرة التفكير بهيمة التصرف .

هذه المعطيات القرآنية تعطينا خط شـروع نحو مرتكز اسـلامي ثابت لا يمكن أن يتغير قائم على أن النفس البشرية مصونة ومحترمة و لا يمكن استباحتها أو استباحة التكريم الإلهي لها بأي سبب كان و لا يكون إلا من خلال كوة ضـيقة جدا و لا يسـمح لهذه النوافذ أن تكون ارتجالية أو عبثية و انما تكون بعد تدقيق وتحر و امعان في النظر ، و حتى هذه الاسـتثناءات تعطي تصـور إلى أن باب الاستباحة يكاد يكون ضيقا جدا و لا يسمح بأي اهلاك أو اهدار للنفس البشرية إلا بما يمكن حفظ حياة المجتمع ممن يشكلون خطرا عليه ، فمثلا عندما نقف على نافذة رجم المحصن الذي يزني فإن هذا الأمر لا يتم إلا وفق اشـتراطات حددها الفقهاء بجملة من الأمور والتي من أهمها (البلوغ ، والحرية ، والعقل ، والإسـلام) ولعل أبرزها ما حدد من خلال تعريف الإحصـان فبعض الفقهاء جاءت رؤيتهم الفقهية مانعة بشـكل كبير لكل من يحاول أن يسـتبيح الإنسـان وذلك من خلال تعريف الإحصـان والذي عدوه بأنه **(الإحصان لا يثبت إلا بأن يكون للرجل الحر فرج يغدو إليه ويروح متمكناً من وطئه، سواء كانت زوجته حرة أو أمة أو ملك يمين، ومتى لم يكن متمكناً منه لم يكن محصناً، وذلك بأن يكون مسافراً عنها، أو محبوساً، أو لا يكون مخلّى بينه وبينها، وكذلك الحكم فيها سواء، ومتى تزوج الرجل، ودخل بها، ثم طلقها وبانت منه، بطل الإحصان بينهما)**[19] .

من خلال هذه الشروط يتبين لنا أنه ليس من اليسر أن يثبت الأمر على الشخص إلا بعد روية وتمعن وتدقيق ، وهو أمر بعيد كل البعد عن الاستعجال في اطلاق الأحكام ، و أن فلسفة هذا الأمر انما هي نتاج هدف وغاية تتجلى بوضوح في حفظ الحياة الزوجية والاجتماعية من التلوث و الانحراف .

وعندما نقف على من قتل الإنسـان بتعمد فإن حكم القصـاص انما جاء احقاقا للعدل و انصـافا لتلك النفس المسـتباحة و القصـاص من مبيحها**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (178) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)**[20] ، مع العلم أن الآيات القرآنية وبرغم تشـددها في القتل العمد **(ومن قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا)** إلا أنها فتحت باب الدية (يحتاج الأمر إلى تأكد) .

وقد وجد ذلك التوجيه القرآني فاعليته ودلالته الواضـــح في مدة الرســـالة النبوية فنجد أن الرســـول (صـــلى الله عليه و آله) و في مجمل حياته الشـــريفة يحاول أن يبدد المتراكم في الممارســـة الاجتماعية للعرب و مدى الاســـتباحة التي انهمكوا بها و أوغلوا بها ، بأن يأتي يســـتعرض قيمة ومكانة الحياة و الإنسـان عند الله تبارك وتعالى ، فهو عندما يأتي لاستباحة الأنثى نجده يأتي بفهم مغاير لما تعارفوا عليه إذ يصـرح بمكانتها وعدم اختلافها عن الرجل بقوله (انما النساء شقائق الرجال)[21] .... و من ثم يذهب بعيدا في ذلك بأن تتمثل تلك المفاهيم و بتطبيق عملي من خلال ممارســـاته مع زوجاته وابنته فاطمة الزهراء فهو الذي عرف عنه انه كان شـــغوفا بها حتى و رد أنه قال **(فاطمة بضـــعة مني فمن أغضـــبها اغضبني)**[22] .

بيد أن ذلك التضيق القرآني على الممارسة العدائية بحق النفس البشرية ، نكاد نجزم بأننا نجد ما يضـاده في الرؤية المبتينة على التأسـيس المتطرف ، فبرغم كل التحصـينات التي وضـعت قبال اهدار و اهلاك النفس البشرية نجد أن اصحاب تلك الرؤية يختلقون جملة من المرتكزات المبيحية لهم هذا التصرف و التي أهمها هو الجهاد .

ثانيا : التلاعب برمزية الجهاد ومفاهيمه وغاياته ودورها في معالم الاستباحة

يشـكل الجهاد بوتقة الانصـهار والتطبيق العملي لأغلب عمليات الاسـتباحة في ايدلوجيا الفقه المتطرف ، فبرغم ان الجهاد مفهوم اسـلامي ورد في العديد من الآيات الكريمة و التي أجازت لرسـول الله صـلى الله عليه وآله أن يقوم بعملية الدفاع عن الجماعة الإسـلامية بما يضـمن عدم اسـتباحتها والتعدي عليها و بما يســـمح بديمومة بقاءها لتأدية الهدف المتوخى من الرســـالة الســـماوية[23] ، إلا أن فاعليته ازدادت اكثر وأكثر بعد وفاة الرســـول ، إذ أعطى ذلك المفهوم مبررا للمســـلمين أن ينقضـــوا على البلدان المجاورة لهم في انفتاح وتوسـع عسـكري غابت عن كثير من مفاصـله روحية الإسـلام كدين للسـلام [24] ، فأصـــبح الدافع الأســـاس لذلك الإنفتاح هو تحكم مفردتي (الســـيطرة / الثروة) مما أحرج المخلصـــين من المســـلمين و أخرج ذلك الأمر عن فضـــاءه الحقيقي الذي كان متوجبا أن ينســـاح من خلاله ، فالمنطلق الديني الإنسـاني الذي يتمثل في كل مفاصـل التعاليم الإلهي كان هو العماد الأسـاس للجهاد المشـروع في الإسلام الذي تنعدم فيه أبعاد الغلبة و المكسب الشخصي أو الفئوي .

وفي ظل تواجد هذا المفهوم وتوارث الممارسة المشوهة و استحكاماتها على العقل المسلم و العقل الفقهي المنظر تحديد ، نجد أن رواجا فقهيا واضحا لهذا المفهوم الذي لم يكتف بمحاربة الخارجين عن دوحة الإسلام أو غير المنتمين له ،بل تعداه ليوجه وبزخم تنظيري وتطبيقي كبير نحو الداخل الإسلامي في تلاعب حقيقي بأهدافه وغاياته، وعن طريق خلق جملة من المثيرات و المحفزات و المبررات المستوحاة من فهم قاصر ومنتقى يقابل بها المتلقي (المجاهد) و التي من أهمها :

1- الاستعراض الإغرائي للنصوص الدينية المحفزة :

تشكل هذه النقطة من النقاط المفصلية و الأساسية التي واجهت المتلقي الإسلامي في مشروعية الجهاد المشوه ، إذ يلاحظ الكم الهائل من النصوص التي يقابل بها المتلقي و التي تحمل دلالات مثيرة وذات قيمة تعبدية ، ولو استقصينا أهم النصوص التي تعضد رأي القائلين بالجهاد لوجدنا أن هناك نصوص تجعل الإسلام ينقسم إلى ثلاثة اجزاء أهمها و أعلاها هو الجهاد ف**(راس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وسنامه الجهاد)**[25] ،كما أن الجنة تتفاوت درجاتها ففيها **(مائة درجة ، ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض ، أعدها الله للمجاهدين في سبيله)** و**(رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه)(ورباط يوم في سبيل الله ، خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل)**و**(عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله)** و**(حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ، ويصام نهارها)**[26] و **(لكل أمة سياحة ، وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله)**[27] .

إن ما تنطلق به ايدلوجيا الفقه التطرفي من خلال استعراضها لنصوص تشكل حجرا أساس في عقيدة الفرد المسلم و عرضها باسلوب اغرائي تفخيمي يصيب الإنسان بالذهول نتيجة لما أعد له من ظفر و رقي ديني ،خلق بعد إلهاميا لذلك الإنسان الذي سيحقق التبشير الأخروي الذي يسعى إليه و الذي يتوافق مع صلب العقيدة التي يؤمن بها المسلمون و التي تقضي بوجود يوم آخر، إما يكون الإنسان فيه سعيدا منعما أو يكون شقيا معذبا ، وفي هذا المجال تنطلق ايدلوجيا التطرف إلى أقصى غايات الاستغلال المتجلبب بجلباب المصلحة الدينية والذاتية في آن واحد ، فالفرد حين يمارس الجهاد سيتحقق له مصلحة ذاتية تصل إلى أعلى سلم الرقي و السمو ، و مصلحة دينية في كونه سينتصر لعقيدته التي يؤمن بها والتي يتحتم لأجلها تقديم التضحية الدنيوية لنيل المرتبة الأخروية ف**(نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في**

الدين والدينا ، ومشـــتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة ، فإنه مشـــتمل على محبة الله و الإخلاص له و التوكل عليه ... و القائم به بين احدى الحســـنيين دائما ، إما النصـــر و الظفر ،واما الشهادة والجنة)[28] ، فليس من نسج الخيال إذا أن تجد ذلك الاندفاع لدى الجهادي المعاصر وهو يفجر نفسه أو يفنيها فالمغرى به كبيرا جدا إلى حد يهون عليه تلك التضحية .

وفي هذا المجال ينبغي لنا التساؤل هل كل ما يستعرض من تراث يخص هذا العرض الإغرائي هو فعلا متصل بالرسول ومتحقق الصدور منه ، أم أن أغلبه لا يرتبط به و انما نسب إليه دون أن يكون قد نطق به .

إن التحقق في هذا المجال يقودنا إلى آراء المحققين الذين أوضـــحوا جملة من الأمور الخاصـــة بالأحاديث المنسوبة للرسول آنفة الذكر ، فمثلا نجد أن بعضها لم يروى إلا من طريق واحد ، وبعضها ما هو ضـــعيف ، و الآخر قيل عنه ما كنا نعرفه إلا من طريق شـــعيب بن زريق ، مما يوحى للمطلع عليها أن ثمت ما يعيق أن تعتمد مثل هكذا أحاديث لتكون أرضـــا صـــلبة للانطلاق و التنظير لهذا المجال الخطير و الســـلاح ذو الحدين ، غير أن فخامتها و ما تحويه من ثراء و قوة دافعة جعلت الأعم الأغلب ينتفع بها لتحقيق غايات التحفيز و الاندفاع لدى الأفراد ، حتى وإن كانت مشـوبة بعدم التأصـيل الشـرعي المرتبط بأحد مصادر التشريع وهو الرسول محمد صلى الله عليه وآله .

2- يمثل الجهاد أعلى مراتب الانصـياع و الإطاعة لرمزية الإنسـان الجهادي (الله / رسـول الله) ، وهذا الربط وجد وبصريح العبارات عند أغلب المروجين لذلك المفهوم [29] .

3- تبتكر ايدلوجيا التطرف موضـــوعا في غاية الخطورة وذلك بعدها الجهاد محطة اســـتراحة و خلع لمشـــاق الحياة الدنيوية ذات التعثرات و الآلام و الأوجاع ، وهذا الأمر حتم ودفع أغلب المنهارين نفسـيا و المصـدومين عاطفيا إلى تفريغ الحمولات النفسـية الزائدة من خلال تقنين ايدلوجيا التطرف هذا ، إذ بعد أن كان مشبعا بالهموم و الانحطاط النفسي وقريبا من انهاء حياته بطريقة غير لائقة ، حولت منه تلك الايدلوجيا إلى عنصـــر ذا أهمية و حفزت فيه القيم والمكانة التي من خلالها أصـــبح مضـــحيا مفتديا وشـــهيدا من الشـــهداء الذين لهم من الوصـــف مالهم في اســـتغلال أمثل لنصوص الآيات القرآنية الخاصة بتكريم المجاهدين و الشهداء وأصحاب التضحيات المبدئية التي أسست لحقيقة الحياة الإنسانية .

4- تعزيز الجانب المادي للاســـتباحة من خلال توســـيع القنوات الرافدة له ، وذلك من قيام المجاهد بإنفاق ما تحصـــل له من أموال الحرام في نفقة الجهاد وكذلك إنفاق ما كان بيده من رهون وودائع لم يسـتطع التعرف على أهلها ، وهذا ما جاء في نص صـريح لابن تيمية **(حتى لو كان الرجل قد حصل بيده مال حرام وقد تعذر رده إلى اصحابه لجهله بهم و نحو ذلك ، أو كان بيده ودائع أو رهون أو عوار قد تعذر معرفة أصـحابها فلينفقها في سـبيل الله ،فإن ذلك مصـرفها...ومن أراد التخلص من الحرام و التوبة ولا يمكن رده إلى أصـحابه فلينفقه في سـبيل الله على أصـحابه ، فإن ذلك طريق حسنة إلى خلاصه ، مع ما يحصل له من أجر الجهاد)** [30] .

5- محاولة جذب المنحطين دينيا من الذين يتصـــارعون مع ذاتهم نتيجة مخالفتهم لتعاليمهم العقدية والدينية و جعل هذا المفهوم (الجهاد) من الممارســـات التي تبعث النقاء لذلك الشـــخص الملوث ليكون الجهاد اكسـيرا و ترياقا لها مهما كانت كثرتها وتشـظياتها **(من كان كثير الذنوب ، فأعظم دوائه الجهاد)**[31] ، في تناس تام لمفردة التوبة التي ضـمنتها آيات قرآنية كثيرة أبرزها و أصـرحها هي الآية الكريمة **(وَأَنِ اسْـتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَـنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَـمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْـــلٍ فَضْـــلَهُ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ)**[32]،**(وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)** [33]

وفي الحقيقة هذه النقطة في تنظير تلك الايدلوجيا من النقاط التي يتحتم الوقوف عندها بروية ، فأغلب البشر يعاني من ذنوبه و يتصارع مع ذاته التي ناقضت مع معتقداته و يتمنى لو يجد متنفسا لها، وبهذا التنظير فإن ايدلوجيا التطرف قد أسـست لقاعدة عملاقة ذات مسـاحة واسـعة و أفراد غير محدودين أو قليلين ، بل إنها هنا حاولت الاسـتقطاب و الاسـتيعاب لأكبر عدد من الأنصـار وهذا الأمر قد نجح بالفعل ، فلو تسـاءلنا ما الذي يدفع بشـاب مسـلم يعيش في رفاهية و طمئنينة في أوربا بالتوجه إلى ثغور الجهاد و الاشـتراك الفعلي بعمليات القتال ، لا يمكن في الحقيقة اغفال تأثيرات مثل هكذا تنظير عن ذلك الاندفاع .

إن ما تتوخاه ايدلوجيا التطرف من هذه المضـــامين هو تفعيل تأثير النص ومغرياته على المتلقي و جعل الأسس الدينية هي المحيطة بهذا الأمر ، وخلق ذهن مشتت ممتنع عن التركيز في ماهية (الجهاد / المُجاهِد / المُجاهَد) .

ولو ركزنا في ما سبق من عرض لوجدنا أن العرض المفخم والمبرر للجهاد انما جاء مرتكزا على البعد العسكري أو القتالي في اخفاق استعراضي متعمدا لإخفاء اقسام الجهاد المنصوص عليها في نفس التراث الذي تعتمد عليه ايدلوجيا التطرف وأسبقية أحدها على الآخر ، فقد روي في التراث الإسلامي أن الرسول قد قال في حجة الوداع **(والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله)**[34] ، ومن هنا فإن تركيز تلك الايدلوجيا على الترويج لقسم دون الأخر أي الجهاد الأصغر و اهمال الجهاد الأكبر[35] و اعترافه بأن ركائز الجهاد الأصغر هم الفساق واصحاب الذنوب لهو أمر يوحي لك بطبيعة الفهم القاصر، وإن الهدف المتوخى هنا ليس هو الدفاع عن النفس والعقيدة بل هو تحصل أمر ذاتي للفرد نفسه ، وما يثير الاستغراب هنا هو أن ملامح الفقيه في هذا المجال لا تتبع التحري والتدقيق فابن تيمية يتناقض في رؤيته الفقهية فبينما يعد الجهاد العسكري هو دواء صاحب الذنوب نجده في موقع آخر وعند شرح هذا الحديث يقول بما نصه **(المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله ، فيؤمر بجهادها كما يؤمر بجهاد من يأمر بالمعاصي و يدعو اليها ، وهو إلى جهاد نفسه أحوج ، فإن هذا فرض فرض عين ، وذاك فرض كفاية ، والصبر في هذا من أفضل الأعمال ، فإن هذا الجهاد حقيقة ذلك الجهاد ، فمن صبر عليه صبر على ذلك الجهاد)**[36] .

وحتى أن تلميذه ابن القيم قد أكد على ذلك أيضا في قوله **"كَانَ جِهَادُ النَّفْسِ مُقَدَّمًا عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ فِي الْخَارِجِ ، وَأَصْلًا لَهُ ، فَإِنَّهُ مَا لَمْ يُجَاهِدْ نَفْسَهُ أَوَّلًا ، لِتَفْعَلَ مَا أُمِرَتْ بِهِ ، وَتَتْرُكَ مَا نُهِيَتْ عَنْهُ ، وَيُحَارِبَهَا فِي اللَّهِ : لَمْ يُمْكِنْهُ جِهَادُ عَدُوِّهِ فِي الْخَارِجِ ؛ فَكَيْفَ يُمْكِنُهُ جِهَادُ عَدُوِّهِ ، وَالِانْتِصَافُ مِنْهُ : وَعَدُوُّهُ الَّذِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ قَاهِرٌ لَهُ ، مُتَسَلِّطٌ عَلَيْهِ ، لَمْ يُجَاهِدْهُ ، وَلَمْ يُحَارِبْهُ فِي اللَّهِ ؛ بَلْ لَا يُمْكِنُهُ الْخُرُوجُ إِلَى عَدُوِّهِ ، حَتَّى يُجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَى الْخُرُوجِ "** [37]

ومن هنا تبرز الرؤى الذاتية للجهاد و المتعكزة على البنية المذهبية في استنطاق غير متوائم مع طبيعة و اهداف الجهاد ، لتؤشر مفارقات شمولية للاستباحة ، فبعد أن كان المنطلق الحقيقي للجهاد هو بذل الجهد في تنقية النفس و السيطرة عليها وكبح جماحها ومصدرا للدفاع عن النفس و العقيدة تحول إلى ساحة لتصفية الخصوم ، فالايدلوجيا المتطرفة باستعراضها لمفهوم وغايات الجهاد و قنواته التي يغطيها و تندرج تحته ، نراه يتحول من الاندفاع والدفاع عن العقيدة الإلهية و بذل المجهود من أجل ديمومتها وبقاءها وهذا هو المبدأ العام لذلك المفهوم إلى توسيع قاعدة الشمول و ادراج للجزئيات و الممارسات التي يتضح أن في أكثرها هي طقوس ممارساتية لمسلمين ليضعها في تقنين محدد وتحت قاعدة (أن لا يعبد

إلا الله) و (الدين كله لله) لتتحول غاية الجهاد إلى كل ما يعتقد أنه اخلال بالعبودية أو طقسا تتمظهر به مظاهر الشرك ليكون هو المرام المستهدف في الجهاد .

عند استعراض غاية الجهاد عند هؤلاء نراهم يحددون المساحة التي ينساح عليها الجهاد ويغطيها فغايته (لا يعبد إلا الله وحده / لا يدعو غيره / لا يصلى لغيره / لا يسجد لغيره / لا يصوم لغيره / لا يحج ولا يعتمر إلا إلى بيته / لا يذبح القرابين إلا له / لا ينذر إلا له / لا يحلف إلا به / لا يتوكل إلا عليه / لا يخاف إلا إياه / لا يتقى إلا اياه ...)[38] .

يتحول مفهوم الجهاد تبعا لما سلف إلى أن يكون أداة مرعبة حقا ، وغاية موجهة إلى الداخل الإسلامي الذي ذهب رونقه و ضل طريقه في التعرف الحقيقي على مبادئ العقيدة الحقه – حسب ما يروج له الفقه المتطرف– .

و لاشك أن اجالة النظر تعرفنا أن استنطاق مفهوم الجهاد بتلك الطريقة وبتلك العبارات قد تحول إلى الاستهداف الحتمي للمخالف العقدي الذي تتربع ظاهرة عدم النقاء العقائدي على كل ممارساته و من ثم يأتي الجهاد المسلح كضرورة للتصحيح الديني و الاعتقادي في اقتصار تام على الفهوم الشاذة للجهاد و التي تنحصر بالقوة والقتال و إلغاء للقنوات العقلية من (محاججة / مناظرة) في استصلاح ما فسد من عقائد .

لذا قد نجد ان أغلب ممارسات الاستباحة في خط الجهاد انما تأتي من افراد حملوا شحنات عالية من تلك المفاهيم ، فهذا المفهوم يجعل الترصد سهل ونتائجه مضمونه وفرائسه متوافرة ، فأغلب ممارسات المسلمين طوائفا و أفرادا انما هي أمور من سهل أن ترمى بمبدأ عدم تحقق الدين كله لله ، ومن ثم توجيه تلك الممارسات الإستباحية عليهم كونهم من ابرز مصاديقها ، فبتلك الممارسات لا يتحقق مبدأ (الدين كله لله / كلمة الله هي العليا) ، خصوصا وأن بعض العبارات الواردة في ما سبق انما جاءت تلميحا وتعريضا بفئات إسلامية واضحة لها وجودها البشري ومساحتها الجغرافية المعرفة و ذات ممارسات واضحة تمام الوضوح تنطبق عليها تلك المفاهيم التعريفية لمساحة الجهاد و التي تم صياغتها بتمعن ودقة واضحة كي تكون تلك الفئات مصداقا تطبيقا لها ، ولعل ما يؤيد ذلك الاستهداف لتلك الفئات أن هذا الكلام قد جاء في منهاج السنة وهو كتاب حمل في ثناياه الكثير من النقض العقدي على من يخالف الرؤى الفكرية لابن

تيمية ، لنصل بالنتيجة إلى أن مقصد الجهاد المحور في ماكنة الاستباحة يتحول إلى أبعد من ذلك ليكون مقصده هو معاقبة الأمة على ترك الواجبات و فعل المحرمات ، وهو أمر يجعل من السهل جدا استهداف أي طائفة اسلامية ترمى بفعل المحرمات وترك الواجبات .

ثالثا : الجهاد و التدرع البشري

إننا سبق وأن بينا أن النص الإلهي واضح في حماية النفس البشرية بشكل عام ، وأن أي اهلاكا لها غير مسموح و لا مقبول مهما كانت غاياته ، ومنها أيضا جاءت كلمات رسول الإسلام بقوله (من آذى مسلما بغير حق فكأنما هدم الكعبة)[39] وفي بعض الروايات انه صلى الله عليه وآله نظر إلى الكعبة فقال : (لقد شرفك الله وكرمك وعظمك و المؤمن أعظم حرمة منك)[40] ، فمصادر التشريع الإسلامي اعتبرت أن لا وجود لأي مبرر يسمح بانتهاك حرمة النفس و أن الموارد في ذلك محدودة من بينها (الدفاع عن الأرض و العرض و النفس) ، وما غير ذلك فهي أمر ينبغي اجلاء النظر فيها مهما كانت العوامل و الدواعي والأسباب .

إلا أن ايدلوجيا الاستباحة القارة في مخيلة جمع من الفقهاء ذهبت إلى ابتداع مسوغا فقهيا لاستباحة الإنسان حتى لو كان مسلما و لا يعتبر ذلك اعتداء على النفس ، و هذا المسوغ ينطلق من مفهوم التدرع البشري ، فمتى ما أصبح المسلمون دروع للعدو يحتمى بهم ، يتحلل (المجاهد)من الحرمة في قتلهم ليصبح من الجائز له قتلهم سواء كان ذلك ضروري أو غير ضروري ، اي أن اي فرد انسان مدني مسالم تورط بأن أصبحت قوة غاشمة هي المسيطرة عليه وقدمته أمامها كدرع بشري تحتمي به تصبح حياته مباحة ، وهو أمر في غاية الاختلاف و المغايرة مع عقيدة المسلمين التي نطقت بها آيات القرآن و ما توارث عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) ، فالإسلام ينظر إلى الإنسان بكونه القيمة العليا و المخلوق الأسمى الذي تتهاوى أمام حياته وكرامته كل الاعتبارات إلا أن ما نجده هنا و في تلك المخيلة الفقهية أن الإنسان يصبح مستباحا برغم عدم امتلاكه الخيارات .

إن ما تقره مثل هكذا منظومة فقهية تجلى بوضوح وتشكل في تراث جمع من المنظرين له لكنه ظهر بوضوح وصراحة بالغة عند ابن تيمية الذي أعطى لذلك الأمر بجملة من المبررات التي ينبغي أن نقف عندها و توضيحها، فهو يرى أن من أضطره الكفار للخروج معهم جائز قتله و سيبعث على نيته إذ

أن المتوجب حسب رأيه " **أن نقاتل العسكر جميعه إذ لا يتميز المكره من غيره** "[41] مستنطقا بذلك حديثا للرسول ورد عن أحداث آخر الزمان و كيف أن جيشا يهاجم عائذا بالبيت فتخسف به الأرض وفيهم من لا ذنب له فقال _ اي الرسول _ يحشرون على نياتهم [42] .

إن شرعنه معالم الاستباحة بواسطة تراث النبي هو أمر في غاية الخطورة ، فالشخص الجهادي سيجد من المنطقي جدا ان يمارس ما لا يتعارض مع الدين أو العقيدة وبما أن هذا الانطباع و القناعة جاءت مرتكزة على ذلك التراث الذي تسرب إلى عقليته ولم يعد من المنطق – حسب تصوره ورأيه– أن يحاكم الحدث بعقله وفكره .

ثمت ملاحظات كثيرة تسجل على ذلك الاستنطاق أبرزها اعتماد ابن تيمية في تسويغ تلك الاستباحة على نص الحديث برواية أم المؤمنين عائشة عن النبي والذي نصه" يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فإذا كانُوا ببَيْداءَ مِنَ الأرْضِ، يُخْسَفُ بأَوَّلِهِمْ وآخِرِهِمْ. قالَتْ: قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، كيفَ يُخْسَفُ بأَوَّلِهِمْ وآخِرِهِمْ وفيهم أسْواقُهُمْ ومَن ليسَ منهمْ؟ قالَ: يُخْسَفُ بأَوَّلِهِمْ وآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ علَى نِيَّاتِهِمْ" [43] واغفال تفاصيل أخرى في الحديث وردت عن أم المؤمنين أم سلمة ، إذ أن الجيش المشار إليه في المروي عن أم سلمة من حديث الرسول انما يبعث لمكان محدد ولأجل مهمة محددة وهي القبض على شخص عائذ بيت الله الحرام وكما في نص الحديث "يَعُوذُ عائِذٌ بالبَيْتِ، فيُبْعَثُ إلَيْهِ بَعْثٌ، فإذا كانُوا ببَيْداءَ مِنَ الأرْضِ خُسِفَ بهِمْ فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، فَكيفَ بمَن كانَ كارِهًا؟ قالَ: يُخْسَفُ به معهُمْ، ولَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَومَ القِيامَةِ علَى نِيَّتِهِ. وفي حَديثِهِ: قالَ فَلَقِيتُ أبا جَعْفَرٍ، فَقُلتُ: إنَّها إنَّما قالَتْ: ببَيْداءَ مِنَ الأرْضِ، فقالَ أبو جَعْفَرٍ: كَلّا، واللَّهِ إنَّها لَبَيْداءُ المَدِينَةِ" [44]، ومن بعض الآراء أنه يتعلق بالمهدي المنتظر ، مما يعني أنه حديث يتعلق بأخبار آخر الزمان ، و أن الجيش يرسل للقبض على المهدي المنتظر الذي بشر به الدين الإسلامي ونتيجة لخطورة هذا الأمر وخروج هذا الجيش عن تعاليم الله و محاولته في القضاء على ارادة السماء فإن الله تعالى يخسف بهذا الجيش عقابا له أي أن اهلاك الجيش حدث إلهي و لا تدخل للبشر أو المقاتلين فيه على عكس قضية التدرع والرد على من استخدم الإنسان كدرع له ، ومن ثم فإن الحديث الذي استند إليه ابن تيمية في شرعنه اباحة قتل الاشخاص الذين يجبرون على ان يكونوا دروع بشرية انما هو استناد غير دقيق لكونه حديث حاص بالجيش الذي يغزو مكة (مكان محدد) ليقاتل شخص عائذ بها (شخص محدد) ويخسف به في مكان محدد (المدينة) ، ومن ثم لا يمكن تعميمه على كل الحروب وكل الجيوش

و جعله نقطة إنطلاقة لاستباحة كل المدنيين الذين اجبروا على أن يكونوا بصف العساكر المتقاتلة ، خصوصا و أن القرآن صريح في ذلك إذ سمح بمقاتلة من يقاتل بدون أي اعتداء **(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)**[45]

إن وجود من يخالف مثل هكذا توجه من العلماء – كما هو حال الشافعي الذي يرى أن القتل غير جائز ، ومع حالة الاضطرار ففيه القود و الدية ففي أحد قوله ذهب إلى أنه " **لا يجوز الرمي إذا لم يمكن ضرب الكفار إلا بضرب المسلم ، سواء خفنا منهم أو لم نخف ، لأن غاية ما فيه أنا نخاف على أنفسنا ، ودم المسلم لا يباح بالخوف ، كما في صورة الإكراه**"[46] وكذلك الحال قول الليث بن سعد والأوزاعي :" **لا يجوز رميهم مع عدم الخوف ، لقوله تعالى : * (ولولا رجال مؤمنون " و قوله " ترك فتح حصن يقدر على فتحه أفضل من قتل مسلم بغير حق**"[47] ،كما ان ابن قدامة قد صرح بقوله " وان تترسوا بالمسلمين لم يجز رميهم إلا أن يخاف على المسلمين فيرميهم ويقصد الكفار، إذا تترسوا بمسلم ولم تدع حاجة إلى رميهم لكون الحرب غير قائمة أو لامكان القدرة عليهم بدونه أو للأمن من شرهم لم يجز رميهم فإن رماهم فأصاب مسلما فعليه ضمانه"[48] – هو الأمر الذي يضع الحواجز أمام استباحة الإنسان و هو أمر يتفق مع آيات القرآن و وصايا الرسول .

في حين أن فتح الباب للقتل سيبيح لأصحاب العقد النفسية ضد الإنسان أن ينفذوا الاستباحة دون أي رادع أو ضوابط ، وما نجزم به أن منطلقات العمليات الإرهابية و تفجيرها الأسواق و المناطق السكنية انما يتكأ على مثل هكذا توجهات ذات عنف فقهي فكانت الآراء المتشددة هي التأسيس و انطلاقة للعمليات الإرهابية المعاصرة ، فالقتل كله لصالح العقيدة الإسلامية حسب زعمهم لا فرق بين الضرورة و انعدامها .

ومن هنا فإن المكانة القيمية للإنسان في ظل هذه الرؤية الفقهية الخاصة بالجهاد تتحول إلى ما لا يمكن تصوره ، إذ يظهر في هذا المجال إلى ارض الواقع صورة التنظير المشوه ، و التي تبدو وبكل صراحة غير مهتمة للإنسان كخليفة لله و أن كرامته وتكريمه وحفظ حقوقه هي غاية كل الرسالات السماوية بل نجدها ونتيجة للتصور الفكري المستندة عليه لا هم لها إلا تكيف الوضع الفقهي للإنسان المغلوب أو الضعيف ، فهل يقتل أم لا وإذا لم يقتل فلماذا ؟ .

إن ما نجده هنا وبكل صـراحة تغييبا للبعد الإنسـان ليتحول إلى البعد المادي ، فجمع من الفقهاء يعتبر أن النساء و الصبيان لا يقتلون وقد نتوقع أنه رحمة بهم أو لكونهم لم يشتركوا فعليا في القتال ، بل الأمر يتعدى ذلك المبرر ليبرز مبرر أخر ، تجلى بوضوح في قول ابن تيمية في معرض حديثه عن اباحة القتال للجميع فيقول (إلا النساء والصبيان ، لكونهم مالا للمسلمين) [49]

هذه الصورة عن الجهاد وما سبقها جعلت الكثير ينظر له على انه تمثلا لسطوة الغالب على المغلوب الذي يقرر حياته كيفما يشـاء ولم يكن ذلك إلا بسـبب ذلك التنظير الفقهي الذي لا يقيم وزنا للإنسـان وكرامته وما حضي به من قبل الله سبحانه وتعالى .

---

[1] – سورة البقرة ، الآية :30 .
[2] – سورة الإسراء ، الآية : 70 .
[3] – سورة النحل ، الآية : 58
[4] – ينظر في ذلك : جوادعلي ، المفصل ،
[5] – سورة التكوير ، الاية : 8–9 .
[6] – سورة الزخرف ، الآية :17 .
[7] – سورة طه ، الآية : 44 .
[8] – سورة الأعراف ، الآية : 127.
[9] – سورة ابراهيم ، الآية : 6 .
[10] – سورة البقرة ، الآية :49.
[11] – سورة غافر ، الآية :25 .
[12] – السبزواري ، ارشاد الأذهان ، 176/3 .
[13] – الحلي ، اكمال النقصان ، 196.
[14] – سورة البروج ، الآية :4– 8 .
[15] – لتفاصيل أكثر ينظر : آدم سيلفرستاين ، من هم أصحاب الأخدود بجميع صفحاته .
[16] – سورة الأنعام ، الآية :151.
[17] – سورة المائدة ، الآية 32 .
[18] – سورة الإسراء ، الآية : 33 .
[19] – الطوسي ، الخلاف ،371.

20 – سورة البقرة ، الآية : 177–179.

21 – السجستاني ، سنن ابي داوود، 1/ 59.

22 – ابن أبي شيبة ، المصنف ، 7/ 526 ، الطبراني ، المعجم الكبير ، 404/22.

23 – سورة البقرة ، الآية : 194 .

24 – العيدان،معوقات انتشار الإسلام في خرسان وبلاد ما وراء النهر خلال الحكم الأموي ، بجميع الصفحات .

25 – النسائي ، السنن الكبرى ، 428/6،ابن تيمية ، الفتاوى الكبرى ، 512/3.

26 – ينظر : ابن تيمية ، الفتاوى الكبرى ، 512/3.

27 – الطبراني ، المعجم الكبير ، 168/8، البيهقي ، السنن الكبرى ، 161/9 .

28 – ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ،28/ 353 .

29 – مجموع الفتاوى ، 28/ 231 .

30 – مجموع الفتاوى ، 28/ 231–232 .

31 – ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ،422/28 .

32 – سورة هود ، الآية : 3 .

33 – سورة الشورى ، الآية :25

34 – ابن حنبل ، المسند ، 386/39 ، ابن حبان ، الصحيح ،5/11،الغزالي ، احياء علوم الدين ، 120/8.

35– الغزالي ، احياء علوم الدين ، 120/8.

36 – مجموع الفتاوي ، 10 / 635.

37 – زاد المعاد ، 3 /6 .

38 – ابن تيمية ، منهاج السنة ، 3/ 490 .

39 – العجلوني ، كشف الخفاء ، 151/2.

40 الطبراني ، المعجم الوسيط ، 36/6 .

41 – ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، 28/ 291.

42 – ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، 28/ 291.

43 – البخاري ، الصحيح ، 3/ 19.

44 – مسلم ، الصحيح 167/8، ابن ابي شيبة ، المصنف ، 609/8.

45 – سورة البقرة ، الآية : 190.

46 – شرح الوجيز ،399/11.

47 – الحلي ، تذكرة الفقهاء، 75/9.

48 - الشرح الكبير ،10 / 402

49 – مجموع الفتاوى ، 28/ 195 .

المصادر و المراجع

- **القرآن الكريم**

❖ **أحمد بن حنبل ، احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ،(241هـ /855م) .**

1. المسند(دار صادر، بيروت – لبنان ، د. ت) .

❖ **البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (256هـ / 869 م) .**

2. صحيح البخاري ، (دار الفكر ، بيروت . لبنان ،1401هـ /1981 م) .

❖ **البيهقي ، ابو بكر أحمد بن الحسين بن علي(458هـ / 1065 م) .**

3. السنن الكبرى ،(دار الفكر ، بيروت . لبنان ، د. ت) .

❖ **الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (279هـ / 909 م).**

4. الجامع الصحيح ،تحقيق وتصحيح : عبد الوهاب عبد اللطيف (ط 2 ، دار الفكر، بيروت – لبنان ،1403هـ / 1983م) .

❖ **ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (728هـ /1328م) .**

5. مجموعة الفتاوى ، تحقيق : عامر الجزار و أنور الباز(ط4 ، دار الوفاء ،المنصورة ـــــ القاهرة ، 1426هـ / 2005م) .

6. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، تحقيق : محمد رشاد سالم (دار الفضيلة للنشر ،الرياض . السعودية ، 1242هـ) .

7. 1993 م) .

❖ **ابن حبان ، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (354 هـ / 965 م).**

8. صحيح ابن حبان ، تحقيق : شعيب الارنؤوط (ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ــ لبنان ،1414هـ / 1993م) .

❖ **الحلي ، الحسن بن يوسف بن المطهر(726هـ /1326 م) .**

9. إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان ، تحقيق : فارس الحسون (ط1 ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المقدسة . ايران ، 1410هـ /1990م) .

❖ **أبو داود السجستاني ، سليمان بن الأشعث (275هـ / 888م) .**

10. السنن،تحقيق: سعيد محمد اللحام(ط1،دار الفكر، لبنان ، 1410 هـ / 1990 م) .

❖ **سيلفرستاين ، آدم .**

11. من هم أصحاب الأخدود ؟ آيات سورة البروج (4–10) في سياق الشرق الأدنى ، ترجمة : مصطفى الفقي (مركز تفسير للدراسات القرآنية ، المملكة العربية السعودية) .

❖ **الشافعي ، أبي عبد الله محمد بن إدريس (204هـ /819 م).**

❖ **ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان ابن أبي بسكر بن أبي شيبة الكوفي العبسي (235هـ/849 م) .**

12. المصنف ، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام(ط1 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت / لبنان ، 1409 / 1989 م) .

❖ **الطبراني ، أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني(360هـ /970 م) .**

13. المعجم الأوسط ، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد و أبو الفضل عبد الحسن بن إبراهيم الحسيني(دار الحرمين ، السعودية ، 1415هـ / 1995) .

14. المعجم الكبير،تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، (ط2 ، دار احياء التراث، بيروت – لبنان ،1397هـ/1976 م) .

❖ **الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن ، (460هـ/1067 م) .**

15. الخلاف

❖ **عبد الرزاق الصنعاني ، ابو بكر عبد الرزاق بن همام (211هـ/826 م) .**

16. المصنف ،تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي،(ط1، المجلس العلمي ، بيروت ـــ لبنان ، 1392 هـ/1972 م) .

❖ **الفخر الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين الرازي (606 هـ/ 1223 م) .**

17. تفسير الرازي (ط3 ، د.م .، د.ت) .

❖ **ابن قدامة ، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد(620هـ / 1223م).**

18. الشرح الكبير (دار الكتاب العربي ، بيروت . لبنان ، د.ت.) .

❖ **ابن ماجة ، ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة (ت 275 هـ/888 م).**

19. سنن ابن ماجة ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي (ط1 ، دار الفكر ، بيروت ـــ لبنان ،1373 هـ/1954 م).

❖ **مسلم،أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري(261هـ/874م) .**

20 الجامع الصحيح (ط1 ،دار الفكر ، بيروت . لبنان ، د.ت) .